لا۔ هذا وقد تكلموا في شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة
والاسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل
السور وعن علي رضي الله تعالى عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف
التهجي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها
فقال سر الله فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى
او صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه
قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد
اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث
انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر
وقيل وقيل ولكن الذي عليه التحرير اما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب
الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ
فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله القرطبي والكلبي والسدي وقتادة
من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما
واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى
يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور في عكسه حسبما تحققته انفا و
انما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على
نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف
مما لا يناقش فيه لمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق فالوجه
انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه
كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم
وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المساجلة بما
يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعاره اوليكون مطلع ما يتلى
عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف
في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن
التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس وخط واما من لم يخالط ذلك قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط
العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب مبني على سر سري مبني على نهج عبقري
بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في

١١

تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف انواعها
تحقيقا او تقريبا لا يتضح عند الفحص والسبر حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من
دقت حكمته من ان يطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان ينالها ايدي الافكار وايراد بعضها
فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور
دون ايرادها كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل
الى المطالبة بوجهه وعد بعضها اية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فاية حيث ما وقعت
وقيل في ال عمران ليست باية والمص اية والمر والم اية والر ليست باية في شيء من سورها الخمس وطسم
اية في سورتيها وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وكهيعص اية وحمعسق
ايتان وص وق ون لم تعد واحدة منها اية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح ايات
عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها اية ثم انها على تقدير كونها
مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء
للسور او للقرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير
فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام
ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالوجه لكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما
كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئت بالنصب على اضمار
فعل اي اذكر او اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد
نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء
السور من كتابه وقد قرأ بعضهم يس والقرآن وقاف والقرآن فكانه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر
ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة يس ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء
الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد
استنكر هو الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو
الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف
ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية
مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طس
ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس
فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر الاحكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه
واما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او القرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)